Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مذكرة إياه بالأعراف والتقاليد التى نشئوا عليها من اعتبار السلاحف البحرية مخلوقات مريبة تؤذى من يقترب منها أو يحاول إيذاءها . ويكيد له لدى المزارع الإيطالى ليحول بينه وبين شراء قاربه السريع ولدى زوجة الصياد الزنجى ليشككها فى حب زوجها لها ويمنع عنه حليتها الوحيدة حتى لا يسترى بثمنها القارب أيضاً .

هكذا جعل الروائى بطله الصياد محاصرًا بالخرافة من كل جانب . وهو حصار مادى وروحى يهدده فى رزقه وحياته وأسرته وكوخه الفقير ومصيره . ومن هنا كان تصدى الصياد الزنجى للسلاحف البحرية ، يتجاوز حدود الصراع الواقعى بين الإنسان وقوى البحر ، إلى الصراع الروحى والعقلى بين قوى التقدم وقوى التخلف . ووفق الروائى فى الإيماء من خلال بطله الصياد ونماذج حسية لحياته وصراعاته البحرية والبرية ، فجاءت القضية قضية حياة أو موت وأكل عيش وليست حوراً نظريًّا أو ترفًا ذِهْنيًّا . فيقول الصياد : « ماذا بوسعى أن أفعل ما دمت لا أعرف حرفة أخرى سوى صيد السلاحف . إننى أحتاج إلى مُطارَدتِها لِكىْ أكسب عيشى ، ولو كان سيدى داود نفسه سلحفاة ، وكانت الرومية مستعدة لشرائه بثلاثة فرنكات لذهبت لإحضاره إليها مقلوبًا على ظهره »[٢٣] هذه هى القضية ، فهنا المغزى العميق من وراء صراع الصياد مع سلاحفه البحرية ، فالخرافة صارت تهدده فى حياته ورزقه ، ومن كان لابد من مواجهتها وتحطيم أساطيرها باصطياد السلاحف البحرية .

وعندما تبدأ رحلة الصياد الزنجى العجوز البحرية فإنه يسقط كل القضايا ولا يبقى أمامه سوى عالم البحر والطبيعة والأمواج والرياح والأمطار يتبادل معها الحديث فى وحدته ، ويتحداها ويتنبأ بهبوب الرياح وقرب توقف الأمطار . فهو صياد جيد وخبير متمرس بأحوال الطقس والبحر وحيواناته ، يحاور المطر والريح والبحر ، كما كان يفعل « سنتياجو » بطل هيمنجواى فى « العجوز والبحر » . بل إنه ليخاطب خصمه السلحفاة البحرية كما خاطب سنتياجو خصمه سمكته الضخمة على حين يمد خيوطه ليصطادها . فيقول مسعود لسلحفاته : « عودى إلى بيتك يا سيدتى إن الريح الشرقى لا يطاق . وأنا قلت ذلك دائمًا ، ثم قطب حاجبيه وسمع نفسه يقول بِبَلَه : انتظرى ماذا تريدين ؟ أنا مازلت أملك خيطين هنا ، وسوف أعود إليك بمجرد أن أفرغ من مدهما . هل تعتقدين أننى عجوز بطىء إلى حد لا يطاق ؟ »[٢٤]

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ .